المحاضرة الثانية: أساسيات المقاولاتية

تتمثل الأهداف الخاصة لهذه المحاضرة فيما يلي:

- التعرّف على مفهوم المقاولاتية وأهم المقاربات التي وردت بشأنها.
- الاطلاع على معنى المقاولة في القانون المدني الجزائري.
- إبراز أهم خصائص المقاولاتية وأهميتها من خلال الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي تلعبه.

أولا: نشأة مفهوم المقاولاتية

يتضح من خلال معظم الكتابات التي اهتمت بأصل مفهوم Etrepreneur أن أصل هذا المفهوم فرنسي، وليس له أي مرادف دقيق في اللغة العربية بالرغم من محاولات الترجمة المتعددة، فمنذ ظهوره تغيرت الترجمة العربية لمصطلح "Etrepreneur" ثلاث مرات منذ استعمالها، فقد كانت منظم ثم مقاول ثم ريادي، وقد وضع (Richerd Cantillon) أول تعريف نظري بالمفهوم الاقتصادي لمصطلح المقاولاتية سنة 1730م من خلال كتابه "Essai sur la nature du commerce en générale". فهو أول باحث استعمل مصطلح المقاول والذي عرّفه حسب وظيفته على أنه: "الشخص الذي يقوم بالتوفيق بين عوامل الإنتاج"، وحسبه فإن المقاولاتية هي تحمل المخاطرة، فالمقاول يشتري بسعر معروف ويبيع بسعر غير معروف في المستقبل، بغض النظر عن مجال نشاطه (الزراعة، التجارة، الصناعة...).

ثم جاء الاقتصادي الفرنسي (Jeam Baptiste say) ليضيف دورا أساسيا في تنظيم الانتاج والتنسيق بين العوامل، الأمر الذي يبرر ربحيته، بعدها أصبح المقاول يقوم بدور غير متوقع بالنسبة للاقتصاديين الليبراليين، فبالنسبة إليهم المقاول يخضع لقانون السوق في بحثه عن تعظيم الربح باستخدام أفضل وأقل تكلفة لعوامل الانتاج.

وأشار (Alfred Marshall) إلى أن المقاول هو مسير المؤسسة، حيث أنه يتحمل مخاطر الانتاج، كما أنه يطلب الخدمات الانتاجية ويحاول تحقيق المساواة بين المنفعة الحدية لهاته الخدمات ومساهمتها في الانتاج.

وقد ركزت المدرسة النمساوية على اعتبار المقاولاتية مرادف للابداع والابتكار، حيث أشار (Josef schunpeter) إلى أن المقاول هو المبدع الذي يقدم ابتكارا تقنيا غير مسبوق.

أما رواد المدرسة الحديثة فقد أسهموا بنصيب وافر في تطوير مفهوم المقاولاتية باعتبارها تمثل الحاجة إلى الإنجاز وتعظيم الفرص والإبداع والابتكار، وإنشاء منظمات الأعمال والمخاطرة وتكوين الثروة.

أهم المقاربات لتطور مفهوم المقاولاتية

تطورت الأبحاث في مجال المقاولاتية من خلال ثلاث تيارات فكرية رئيسية، فكانت البداية مع بروز مقاربتين مهمتين الوصفية والسلوكية، ومن ثم ظهرت مقاربة جديدة تأخذ بعين الاعتبار حركية المسار المقاولاتي، ويمكن عرض المقاربات الثلاث كالتالي:

1- المقاربة الوصفية: (مقاربة السمات)

سعت هذه المقاربة لفهم دور المقاول في الاقتصاد والمجتمع، مستعملة العلوم الاقتصادية في تحليلاتها، فحسب هذه المقاربة يمكن أن يُعرف مصطلح المقاولاتية من خصائص وسمات الأفراد المقاولين.

ومن بين السمات والمواقف التي تميز المقاولين نجد: الحاجة للانجاز، الحاجة للاستقلالية الذاتية، الإبداع والخلق، التحمل عند وجود غموض ما، ثقة كبيرة في النفس...الخ.

إلا أن هذه المقاربة تعرضت لانتقاد العديد من الباحثين، حيث من المستحيل أن نجد لدى أحد الأفراد كل الخصائص والصفات التي يتمتع بها المقاول، والتي حسب هذه المقاربة تجعل منه ناجحا.

2- المقاربة السلوكية: (المقاربة البيئية)

سعت هذه المقاربة إلى تغيير نشاطات وسلوكيات المقاولين وفق بيئتهم ومحيطهم.

وقد جاءت هذه النظرية كنقد لمنظور السمات، الذي أبعد الدور أن يلعبه المحيط الذي ينمو فيه المقاولون، وفي هذا السياق يعتبر (Mc Clelland) من الأوائل الذين اهتموا بالعلاقة التي تربط بين سلوك الأفراد (المقاولين) وبيئتهم أو محيطهم (القيم، المعتقدات، المحفزات...)، حيث انطلق من مفهوم أن التطور الاقتصادي يفسر بروح المقاولة، ومصدر هذه الأخيرة (الحاجة لتحقيق الذات)، فهي سمة نفسية يميل من خلالها الفرد إلى الاستقرار، فإذا ما امتزجت مع خصائص محيطية مشجعة ومحفزة فإن الأفراد سيتوجهون نحو اختيار المقاولة كمسار مهني.

3- المقاربة المرحلية:

أخذت هذه المقاربة بعين الاعتبار حركية المسار المقاولاتي، بحث حللت ضمن منظور زمني وموقفي المتغيرات الشخصية والمحيطية التي تشجع أو تمنع وتعيق الروح المقاولاتية، وتعرّف المقاربة المرحلية المقاولة على أنها: "مجموعة من المراحل المتعاقبة تبدأ من امتلاك الشخص لميول مقاولاتية إلى غاية تبني السلوك المقاولاتي، ويتوسط هذه المراحل مرحلة اتخاذ القرار (الدخول لمجال المقاولة)، وهذا الأخير تسبقه مرحلة تسمى بمرحلة التوجه المقاولاتي، الذي يُعرف بأنه إرادة فردية أو استعداد فكري يتحول إلى إنشاء مؤسسة وذلك في ظل ظروف معينة".

ثانيا: تعريف المقاولاتية

1- التعريف اللغوي للمقاولاتية:

تعددت التعاريف ذات العلاقة بمفهوم المقاولاتية "Entrepreneurship"، حيث أنها لغة كلمة إنجليزية الأصل تم اشتقاقها من الكلمة الفرنسية "Entrepreneur"، وقد ترجمت من طرف الكنديين إلى اللغة الفرنسية "Enreprenariat"، وهي تعني حاول، بدأ، خاض، وتتضمن فكرة التجديد والمغامرة.

والمقاولة في لغة العرب مصدر "قاول"، وتعني –حسب معجم اللغة العربية المعاصرة–: "اتفاق بين طرفين يتعهد أحدهما بأن يقوم للآخر بعمل معين بأجر محدود في مدة معينة".

2- التعريف الاصطلاحي للمقاولاتية:

يمكن تعريف المقاولاتية من خلال مقاربات مختلفة، ومن أهم هذه المقاربات ما يلي:

أ- المقاولاتية استغلال للفرص:

يرى أنصار هذا المذهب أن المقاولاتية هي سيرورة تحويل الفرص إلى انطلاق الأعمال، بحيث تتكون من عنصرين رئيسيين وهما المقاول والفرصة، إذ تعتبر الفرصة نقطة الانطلاق لأي مشروع، فلا يمكن تصور مقاولاتية بدون فرصة.

وأهم رواد هذا الاتجاه (Shane و Venkatarman)، بحيث يعرّفان المقاولاتية بأنها: "العملية التي يتم من خلالها اكتشاف وتثمين الفرص التي تسمح بخلق منتجات وخدمات مستقبلية".

وعرّفها (Brush Et All) بأنها: "توجه يدرس العملية التي يقوم من خلالها المقاولون بتحديد واستكشاف واستغلال فرصة".

كما عرّف (Venkatarman) المقاولاتية على أنها: "حقل أكاديمي يسعى لفهم كيف تنبثق وتظهر الفرص التي تؤدي إلى خلق مؤسسة أو مشروع جديد أو سلع وخدمات يتم اكتشافها وابتكارها بواسطة مجموعة من الأشخاص المقاولين".

وتعرّف الفرصة: حسب (Casson 1982): "الحالات التي تسمح بتقديم منتجات، خدمات ومواد أولية جديدة، بالإضافة أيضا إلى إدخال طرق جديدة في التنظيم، وبيعها بسعر أعلى من تكلفة الإنتاج". ويكون ذلك عن طريق المقاول الذي يتصف بالقدرة على اكتشاف الموارد غير المثمنة والتي يقوم بشرائها ويعمل على تنظيمها لبيعها على شكل سلع مثمنة، ويرى أن إدراك المقاول لهذه الفرص يولد لديه تصور مقاولاتي لإنشاء مؤسسة بغرض استغلال الفرصة.

ب- المقاولاتية من منظور خلق المنظمة: (ظاهرة تنظيمية)

اعتبر رواد هذا الاتجاه المقاولاتية على أنها عملية إنشاء منظمات جديدة، وأشهر رواده (Gartner William)، حيث يعتبر أن المقاولاتية هي: "عملية إنشاء منظمة جديدة وبالتالي فهي تشمل كل الأعمال التي يقوم من خلالها المقاول بتجنيد وتنسيق الموارد المختلفة من معلومات، موارد مالية وبشرية من أجل تجسيد فكرة في شكل مشروع مهيكل، على أن يكون قادرا على التحكم في تغيير طريقة النشاط ومسايرته لأنشطة مقاولاتية جديدة".

كما يرى هذا الاتجاه أيضا أن عملية إنشاء مؤسسة جديدة هي ظاهرة تنتج عن التأثير المتبادا للعديد من العوامل المختلفة من الأفكار، الخبرة، والتي يصبح لها معنى بواسطة تنظيم جديد، ويركز (Gartner) أساسا على مسألة ظهور هذه المنظمة وكيف تتمكن هذه الأخيرة من البروز والتحول إلى كيان موجود حقا بعدما كانت مجرد فكرة.

ويرى (آلان فايول) أن المقاولاتية هي: مجموعة من الأنشطة التي تسمح بإنشاء مؤسسة جديدة، والتي تتطلب العناصر التالية:

- البحث عن الفرص
- تجميع الموارد
- تصميم المنتج موضوع الفكرة
- إنتاج المنتج
- تحمل المسؤولية اتجاه الاقتصاد والأفراد

أما Dollin فقد عرّفها بأنها: "عملية خلق منظمة اقتصادية مبدعة من أجل تحقيق الربح أو النمو تحت ظروف المخاطرة وعدم التأكد والاستفادة من فرص جديدة عامة".

ت- المقاولاتية من منظور خلق القيمة:

تعدّ المقاولاتية عملية ديناميكية لخلق ثروة زائدة بواسطة أفراد تحملوا مخاطرة كبيرة وقت التزام مهني من أجل توفير قيمة لمنتج أو خدمة.

وقد اقترح (Morin) مبدأ الثنائية (الفرد وخلق القيمة) بحيث أنه يندرج ضمن ديناميكية للتغيير ويعرف من منظورين هما:

المنظور الأول: ينطلق من الفرد ويعتبره الشرط الأساسي في خلق القيمة، إذ يقوم بتحديد طرق الإنتاج، وبالتالي المقاول هو ذلك الشخص أو المجموعة في صدد خلق قيمة كإنشاء مؤسسة جديدة مثلا، والذي بدونه لما يمكن لهذه القيمة أن تتحقق.

المنظور الثاني: يعتبر أن خلق القيمة من خلال المؤسسة التي أنشأها الفرد تؤدي إلى جعل هذا الأخير مرتبطا بالمشروع المقاولاتي لدرجة أنه يصبح معرفا به، وتحتل القيمة مكانة كبيرة في حياته، إذ تدفع المقاول لتعلم أشياء جديدة، وهي قادرة على تغيير صفاته وقيمه، فعند قيام الفرد بإنشاء مؤسسة أو تقديم ابتكار فإنه يصبح ملزما بالمشروع الذي أقامه، أما عن القيمة المقدمة فهي تتمثل في مجموع النتائج التقنية المالية والشخصية التي تقدمها المؤسسة والتي تولد رضا المقاول والأطراف التي تتعامل معه والفاعلة أو المهتمة.

لقد تطور مفهوم المقاولاتية وأصبحت تأخذ أكثر من صورة، حيث يرى (آلان فايول) أن هذه الظاهرة يمكن أن تأخذ الأشكال التالية:

- إنشاء مؤسسة أو نشاط من طرف أفراد مستقلين أو من طرف المؤسسات.

- استعادة نشاط أو مؤسسة تكون في وضع جيد (سليمة)، أو تواجه صعوبات من طرف أفراد مستقلين أو من طرف مؤسسات.
- تطوير وإدارة بعض المشاريع (التي في خطر) في المؤسسات.
- القيام بتسيير بعض الوظائف أو المسؤوليات داخل المؤسسات.

ث- المقاولاتية من منظور الإبداع:

حسب بعض الاقتصاديين الإبداع هو ما يميز المقاولين عن المدراء، حيث أنه شرط لخلق القيمة حسب (Drucker) سواء كان هذا الإبداع تكنولوجيا أو تنظيميا.

كما ركّز (schumpeter) على دور الابتكار في العملية المقاولاتية، وذلك من خلال نظريته "التفكيك الخلاق"، رغم أنه لا يوجد إجماع حول مفهومه، إلا أن هناك مفهوم ضيق ومفهوم واسع للابتكار، فالمفهوم الضيق يعرّف الإبتكار على أنه مرتبط بالجوانب التكنولوجية، والعيب في هذا المنظور هو تضييق صور ونماذج المقاولاتية لأن القليل من المقاولين يمكن ربطهم بهذا التعريف الضيق للابتكار.

ونستنتج من خلال ما تم ذكره من التعريفات السابقة، أن كل المقاربات السابقة تكمل بعضها البعض، ذلك أن كل واحد منها غير كاف بحد ذاته لوصف ظاهرة المقاولاتية، لذا يمكن أن تترجم العلاقات بين التعاريف الأربعة في التعريف التالي:

"المقاولاتية فعل إبداع يتضمن إعطاء الموارد المتاحة حاليا، والقدرة على خلق قيمة جديدة مع تحمل المخاطر الناجمة عن ذلك، وبالمقابل الحصول على إشباع معين".

كما يمكن استخلاص تعريف آخر مشترك وهو: "المقاولاتية هي عملية إنشاء واستغلال فرص أعمال من طرف فرد أو عدة أفراد يتمتعون بروح المقاولاتية وذلك بمنظمات جديدة من أجل خلق القيمة".

أو هي: "مجموع النشاطات التي تسمح بإنشاء مؤسسة جديدة من خلال اكتشاف، وتثمين واستغلال الفرص المتاحة في السوق، وذلك بتوفير الوقت، العمل، رأس المال ومختلف الموارد الأخرى الضرورية، وكل ذلك بهدف تقديم قيمة معينة".

ثالثا: التعريف القانوني للمقاولة

عرّف المشرع الجزائري المقاولة من خلال نص المادة 549 من القانون المدني بقوله: "**المقاولة هي عقد يتعهد بمقتضاه أحد المتعاقدين أن يصنع شيئا أو أن يؤدي عملا مقابل أجر يدفعه له المتعاقد الآخر**".

ومن خلال دراسة النظرية العامة للالتزام بأن العقد هو اتفاق بين طرفين، فإن المقاولة هي اتفاق بين المقاول ورب العمل، على أن يقوم هذا الأخير بدفع أجر للمقاول الذي يقوم بعمل لصالحه. وعليه، نجد أن عقد المقاولة يقع على محل غير موجود أثناء التعاقد، إذ أن المقاول يقوم على إيجاده في المستقبل عند دخول العقد حيّز التنفيذ.

وقد عرّف الأستاذ مازو عقد المقاولة بأنه: "العقد الذي عن طريقه يتعهد شخص يقال له المقاول أو مؤجر العمل في مواجهة شخص آخر يقال له رب العمل أو العميل، بأن ينفذ له عملا مقابل أجر، مستقلا عنه ودون أن تكون له صفة تمثيلية".

فمن خلال هذا التعريف يتبين أن العمل الذي يقوم به المقاول لصالح رب العمل، يكون بصفة مستقلة دون الخضوع لرقابته وإدارته.

رابعا: خصائص المقاولاتية

تتميز المقاولاتية بعدة خصائص، نذكر منها ما يلي:

– المقاولاتية هي فكرة تتحول إلى مشروع أو مؤسسة على أرض الواقع.

– المقاولة تعني الإدراك الكامل للفرص المتمثلة بالحاجات والرغبات والمشاكل والتحديات والاستخدام الأمثل للموارد المتاحة نحو تطبيق الأفكار الجديدة في المشروعات التي يتم التخطيط لها بكفاءة عالية.

– يقوم بها المقاول (الفلاحي، الصناعي، الحرف، الخدمات...) يتميز بالريادة والقيادة والقدرة على الإبداع والتغيير وتحمل المخاطر بأنواعها.

– هدفها الأساسي هو الربح المادي الناتج عن المنتوج (بيع، إيجار، شراء، تسويق...).

– تتسم المقاولاتية بالإبداع، وذلك بإنشاء مؤسسة غير نمطية، يكون منتوجها مختلفا عن ما هو موجود في السوق.

– ارتفاع نسبة المخاطرة في المقاولاتية، لأنها تأتي بالجديد، وبمعدلات عوائد مرتفعة في حالة قبول المنتج في السوق.

– تتميز المقاولاتية بالفردية النسبية، بحيث يمكن للمقاول أن يمارس تسييره للمؤسسة أو للمشروع بشكل مباشر ومستقل بدل الاعتماد على مجلس الإدارة وهو ما يسمح له بتجسيد أفكاره وإبداعاته على أرض الواقع.

خامسا: دور وأهمية المقاولاتية

إن الاهتمام الكبير بالمقاولاتية يعكس الأهمية البالغة التي تتميز بها، فالمقاولاتية تتسم بدعمها للتنمية الاقتصادية من خلال الدور الذي تلعبه، ويمكن تلخيصه فيما يلي:

1– الدور الاقتصادي للمقاولاتية:

– رفع مستوى الإنتاج المحلي في جميع الأعمال والأنشطة.

– خلق مؤسسات جديدة تعتمد على أفكار إبداعية تستجيب لاحتياجات السوق.

– الاسهام في تنويع الإنتاج نظرا لتباين مجالات الإبداع لدى المقاولين.

– إعادة هيكلة المشاريع الاقتصادية وتنميتها وتطويرها.

– إيجاد أسواق جديدة.

– زيادة القدرة على المنافسة.

– المساهمة في النمو السليم للاقتصاد.

- تنمية الصادرات والمساهمة في تحسين العملة.
- توجيه الأنشطة للمناطق التنموية المستهدفة.

2- الدور الاجتماعي للمقاولاتية:

- عدالة التنمية الاجتماعية وتوزيع الثروة (زيادة فرص العمل وإزالة الفوارق الاقليمية الناتجة عن تركيز الأنشطة الاقتصادية في إقليم معين).
- امتصاص البطالة وتأمين فرص العمل.
- زيادة دخل الأفراد.
- ترقية روح المبادرة الاجتماعية في مختلف المجالات.
- المساهمة في ترقية المرأة وإعطائها فرصة لإثبات مهاراتها وكفاءاتها، وبالتالي ظهور بعض الحرف والأنشطة غير الشائعة كالنسيج والزخرفة.
- الحد من النزوح الريفي نحو المدن، وذلك من خلال خلق أنشطة مقاولاتية فلاحية وحرفية، وتدعيم عجلة التنمية بالمنطقة الريفية.